4- بعض المسئولين الذين تولوا المسئوليات لفترة طويلة لا يتصورون أنهم من الممكن أن يتحركوا من مكانهم إلى مسئولية أقل، وعدم انتخابهم يسبب لهم صدمة ناتجة من الحرج الشديد الذي يشعرون به وسط العاملين في الحركة، وربما يشعرهم ذلك بالأسى والفشل مما قد يؤدي بهم إلى الانعزال أو العمل بكفاءة أقل.

وينبغي علاج هذه الحساسية التي تحدث لدى بعض الأفراد نتيجة عدم اختيارهم في نفس المسئوليات التي كانوا فيها، وإعدادهم لقبول ذلك بصدر رحب، ودون اعتبار ذلك رفضا لشخصياتهم.

5- غياب المعايير الواضحة لتقييم المسئول المنتخب.. متى ينجح في مهمته؟ ومتى يفشل؟ وكيف يمكن محاسبته؟ ومتى يعزل من مهمته؟

ولذا لابد من تحديد معايير فنية واضحة لمراقبة الأفراد، وعمل استجوابات للمسئولين كل فترة (3 شهور مثلا)، تمكن الأعضاء من مراقبة عمل المسئول وطريقة تفكيره في حل المشكلات، وهل يسير في اتجاه ما وعد به أم أنه متكاسل أو غير قادر على تنفيذ وعوده؟ وكذلك يجب تحديد آلية واضحة للعزل من المنصب في حالة الفشل.

إنها ثقافة الديمقراطية أو «الشورى» التي ينبغي أن يعيها العاملون بالدعوة جيدًا قبل أن نطلب منهم الاختيار الصحيح الذي يعالج سلبيات العمل الدعوي ويطوره ويرفع من شأنه.

ولابد للحركات الإسلامية إذا أرادت الارتقاء بدعوتها أن تتبنى بصدق وجدية آليات حقيقية، آليات تضمن وجود الرجل المناسب في المكان المناسب.

ملف أبناء الدعاة..

ملف لم يجرؤ على فتحه أحد!!

1- حكايتي معهم:

لم يكن ابن الداعية الكبير الذي قابلته في إحدى المدن الساحلية يعرفني لا شكلًا ولا

اسمًا، إلا أنني فوجئت بتلك الحفاوة والتلقائية التي قابلني بهما وكأنه يعرفني منذ سنين، إلى الدرجة التي مكنتني من إزالة الكثير من الحواجز النفسية المعروفة بين شخصين لم يتعرفا من قبل إلا عبر اتصال هاتفي عمره دقائق، وكان هذا الاتصال كفيلًا بإحداث قفزة هائلة في المشاعر أكبر بكثير من تلك المسافة المقطوعة بين مدينتي القاهرية ومدينته الساحلية.

حميمية وبساطة في اللقاء، وكرم حاتمي تعدى بكثير حدود المجاملة المرسومة، يجبر كل من يراه أن يقتنع بصدق من يقوم به، ويجعله يوقن بأن ما يفعله إنما هو من قبيل العادة التي تمرس عليها مع أناس غيره كثيرين، وليس من قبيل التجربة الأولى التي تتسم بالتردد والحذر والحسابات المادية المعروفة.

مبادرة في تقديم المساعدة إلى حد لم نتعوده من أصدقاء قريبين لنا، يضاف إليها لباقة في الحديث وثقة وجرأة في التعامل مع الآخرين، وذكاء وخبرات تصورت أنهما أكبر من شاب لم يزل في السادسة والعشرين من عمره.

وعندما أردت تفسير الوضع كان يكفيني تماما أن أقول لنفسي، وماذا تنتظر من ابن الداعية الكبير، الذي تفتحت عقولنا وانفتحت قلوبنا على حديثه الجذاب وطريقته المحببه ليس للملتزمين فقط إنما إلى عامة الناس أيضًا.

كان تلك الإجابة كافية جامعة مانعة لذلك النموذج الإنساني الذي أبهرني أنا شخصيًّا، ربما لأنني لم أره من قبل، أو ربما لأنني لم أكن أتخيل أن يحدث هذا التطابق بين السلوك الإسلامي الذي يدعو إليه الأب الداعية في خطبه «المجلجلة» في طول مصر وعرضها، وبين سلوك الابن «النابغة» الذي أراه سلوكًا إسلاميًّا يمشي على الأرض. ربما كانت دهشتي مصدرها أننا تعودنا أن نتحدث كثيرا ونعمل قليلا، في مجتمع يحب الكلام «زي عينيه»، ويهرب من الفعل كما يهرب المؤمن من الشيطان، في مجتمع على استعداد لأن يعيش سنوات وسنوات على مسكنات الكلام دون أن يتجرأ ويطلب حقنة عمل واحدة.

إلا أن بعض الألفاظ الغريبة التي بدأ يتفوه بها ابن الداعية الشاب جعلتني أشعر بأن

هناك تجاوزا غير مقبول لم أتعود عليه، ودفعتني رواسب فكرية في ذهني إلى أن أجد مبررًا لذلك التجاوز اللفظي، إلا أن التكرار استطاع أن يحرك هذه الرواسب الفكرية لأقع في حيرة من أمري، ولكي يتجرأ عقلي على التفكير ونقد الأمر، ومع مرور الوقت وتوالي الأحداث وكثرة الكلام، بدأ عقلي يجبرني على السير في اتجاه لم أكن أحب أن أسير فيه، ولم أكن أتوقع أن أطرقه، وبدأ يعطي اشارات على استحياء إلى عيني لأنظر إلى كاسيت السيارة لأجد شريط كاسيت مكتوب عليه.. أغنية.. للمطرب..، وبالطبع لم يكن هذا المطرب منشدًا إسلاميًّا أو مطربًا دينيًّا، وكان هذا الشريط هو الدليل الدامغ على أن أصل لنتيجة مؤكدة نجحت أن أصدقها، وهي أن ابن الداعية الشهير بعيد عن طريق الدعوة.

ورغم أن الأمر محير، إلا أنني لا أعتبر أن عدم كون ابن الداعية من الدعاة سبة في وجه آبائه، طالما أنه شخص ملتزم يعرف الإسلام ويفهمه وينتهج سلوكه وأخلاقه ويحافظ على علاقته بربه، فربما يختار الابن طريقا آخر غير الذي سلكه والده، وكان والده من الحكمة التي تسمح له بحرية اختيار كهذه طالما أنه غير مقتنع بنهج والده ومنظومة الإخوان في الدعوة.

لكن ما أزعجني وأحزنني أن الأمر ابتعد - ليس قليلًا - عن الالتزام بالشكل الإسلامي نفسه، بصورة أعادت إلى ذهني فكرة تمرد أبناء الدعاة على آبائهم نيتجة ضغط الأوامر الأبوية، أو ضغط الظروف الأمنية، أو سوء الأحوال الاجتماعية، تمرد على الآباء بطريقة التمرد على الدين نفسه، واتخاذ منهج الحرية المريح في رفض كل ما حاول الغير اقناعنا أنه فرض، بطريقة تصل إلى حد الإجبار باعتبارهم يفهمون أفضل ويعرفون أكثر.

قلت في نفسي: لو عرف الآباء أن أولادهم حتما سيكبرون، فلربما أعادوا تركيبات المعادلات الكيمائية التي يصبونها صبًّا في أدمغة أولادهم، لو عرف الآباء أن الأبناء سيأتي عليهم وقت ليعيدوا كل شريط الفيديو المسجل داخل القرص الصلب في دماغهم ثم يقوموا بعملية «سكان» جديدة ليكملوا مشوار حياتهم مقتنعين بما يفعلون، بدلا من أن يكونوا مجبرين لأنهم صغار أو ضعفاء أو جهلاء، لربما تغيرت النتائج إلى الأفضل، أو ربما دفعت الكثير من الدعاة لأن يدرسوا نموذج ابن سيدنا نوح ÷ جيدًا، لكي يجهزوا ردًّا

مقنعًا موثقًا لحالة عدم نجاح الداعية مع ابنه، كما لم يفلح النبي نوح ÷ في هداية ولده، أو أن يطفئوا اندهاش الناس المتوهج ببعض الآيات والأحاديث عن الابتلاء والقضاء والقدر وأن الله يهدي من يشاء هو، لا من نحب نحن.

كانت مشاهد العديد من أبناء الدعاة بدأت تتراقص أمامي كشخص يهزني هزًّا كي أستيقظ من نومي العميق، من قريب.. ابن داعية معروف، حافظ العديد من أجزاء القرآن، الحائز على مرتبة الشرف على غيظ كل المشرفين، لا يجيد التعامل مع أحد، ليس لديه أي إمكانات، يحب نفسه ولا يحبه أحد، يتعالى على الآخرين، أصبح عبئًا على الجميع لأنه ابن أخ. تبتعد الصورة قليلًا للمراهق الدائم الشجار مع أبيه وأمه ليصبح عدم حديث الأب أمام إخوانه عن معاناته مع ابنه نوعًا من الخطأ غير المقصود الذي لابد أن يصحح، حتى لا يظن من حوله أن المشكلة قد انتهت فيتوقفون عن إمداده بجرعات الرثاء.

في خلفية المشهد أبناء يسألون أنفسهم لماذا لم يولدوا أحرارًا كبقية زملائهم ؟ لا قيود لا تعليمات لا محرمات كل دقيقة لا حلقات وأنشطة والتزامات وكلام كبير وكثير عن التضحية والرسالة والدعوة والعلم.

الداعية يعرف بداهة أن ابنه لابد أن يخرج داعية، وهذا طبيعي جدًّا خاصة إذا سعى الأب لذلك سعيًا حثيثًا منظمًا كما يسعى صاحب المصنع أن يعد ابنه للعمل في مصنعه ليكون مؤهلًا لإدارته من بعده، لكن في مصنع الدعاة كثيرًا ما يفاجأ الآباء بأن أبنائهم لا يحبون العمل في المصنع، أو أن حبهم للعمل ومهارتهم باتت مخيبة لأمالهم العريضة وأحلامهم الكبيرة التي تمنوها لهم منذ الصغر.

أخشى أخي القارئ أن أقع أنا وأنت في فخ التعميم، فأوحي لك أو تتهمني بأنني أقصد بما أقول كل أبناء الدعاة، وهو ما لا أقصده وأخاف أن أوحي إليك به، فكثيرًا من أبناء الدعاة من الشباب الواعد ما أدعو الله بأن يرزقني أبناء مثلهم في الأخلاق، وفهم الإسلام، والعمل للدعوة، والكثير من آباء الدعاة ما أحسدهم على نجاحهم الفذ في تربية أبنائهم.

المشكلة إذن تتعلق بعدد ليس كبير جدًّا بما نعتبره كارثة، كما أنها لا تتحدث عن عدد قليل جدًّا يمكننا من اعتبارها مشاكل فردية نادرة، ولكن العدد بين هذا وذاك، بما يدفعنا للتفكير وإعادة الحسابات ومحاولة ضعيف مثلي لأن يطلق صفارات النذير بنية الإصلاح وليس بغرض إثبات أنني «واد مخلص»، و«فاهم الفولة»، فمن منا يجرؤ أن يدعي أنه موقن أنه سينجح في تربية أبنائه مهما بلغ اهتمامه، ومهما بلغت مهاراته التربوية وخبراته العملية ؟ لا أحد يستطيع ذلك كما كان الكثير قبلنا ومنهم الأنبياء، وكما لن يستطيع الكثير بعدنا وكثير منهم صالحون. إن من عظمة الإسلام وجماله أنه لم يطلب منا أبدًا النتيجة، لأنه أخبرنا أنها بيد الله، ولكنه شدد علينا في المحاولة والأخذ بالأسباب بصدق وبجدية، وهذا ما يجعلنا نعمل بجد ونحن هادئو النفس مطمئنو السريرة، لأن الأمر بيد الله، فلا كسل ولا تواكل ولا قلق ورعب من المصير المجهول.

إنني أدعو فقط إلى المحاولة، المحاولة الجادة الصادقة التي ينظر إليها الله، فيشد من أزرنا وينزل علينا رحمته ويقر أعيننا بأولاد صالحين.

2 - الهروب من المعركة :

من الطبيعى جدًّا أن نندهش عندما نجد أسرة الطبيب الذي مهمته تشخيص المرض ووصف العلاج، تعاني من أمراض شتى واضحة وظاهرة للجميع، يعجز الطبيب عن علاجها، وهو نفسه الطبيب الماهر ذائع الصيت الذي يقصده الناس أينما حل في مكان، ومن الطبيعي جدًّا أن نندهش ونحزن ونتحسر ونسأل ونتساءل، عندما نجد الداعية الذي يعرف أمراض المجتمع ودائم النصح للناس بعلاجها، والذي يشرح للناس كلما لقيهم أسباب المشكلة ووسائل الحل، أن نجد أبناؤه يعانون من نفس أمراض المجتمع الذي يسعى لعلاجها بصورة تجعله نفسه يتساءل في دهشة: كيف حدث هذا ؟ ومتى؟ وكيف سمحت للأمر أن يصل إلى هذا الحد ؟

إن الدهشة التي تصيب الجميع وأولهم الداعية، والتي تفقده الثقة في نفسه أحيانا، وتشعره بالفشل والإحباط أحيانا أخرى، وتصيبه بالعجز أحيانا ثالثة، أول أسبابها أن الداعية رأى أنه يكفي أن يكون داعية كي يخرج بيته أولادًا صالحين، يكفي أن يسأل

الأولاد عن أبيهم لتبلغهم الأم دائما أنه في المسجد يصلي أو يلقي خطبة أو أنه سافر ليلقي محاضرة مهمة أو أنه يصور برنامجا دينيًّا في الفضائيات، يكفي أن يراه الأولاد حكيما حتى يتحلون بالحكمة، وأن يروه متعبدًا حتى يتعبدوا مثله، يكفي أن يروه على خلق حتى يشبوا على خلقه القويم، ورغم أن الكلام قريب جدًّا من المنطق ومن نظريات التربية التي تعتمد القدوة كإحدى الوسائل المهمة للتأثير في الآخرين، إلا أن الواقع يثبت كل يوم أن القدوة وحدها لا تكفي، وهو ما اكتفى به الكثير من الدعاة كمنهج لتربية أبنائهم.

انشغل الدعاة بالناس عن أبنائهم، واختاروا الشارع ميدان المعركة الوحيد، معتقدين أن معركة الأسرة محسومة لا شك، تمر السنوات الأولى من عمر الأبناء دون تخطيط تربوي يذكر، وكان الآباء يقولون لأنفسهم: إنهم لا زالوا أطفالا، فعلى أي شيء نربيهم؟ نربيهم حين يكبرون!

وعندما يكبر الأبناء قليلًا تبدأ بنود عقد التربية في التنفيذ، وتتحمل الأم (حمالة الأسية دائما) المهمة كاملة إلا قليلًا، بعد ثلاث أو أربع سنوات لا يرى الآباء أي مشكلات ظاهرة، بينما تخفي النفس بعض المشاكل في طريقها للنمو مع الزمن، وتبدأ وسائل التربية الروتينية التي تثبت للداعية أمام نفسه وأمام الناس، أن ابنه يسير على الطريق الصحيح: حفظ القرآن، الذهاب للمسجد، حجاب الابنة على سبيل التعود، ورغم أنها وسائل ضرورية، إلا أنه من الخطر أن يعتبر المرء أن هناك أمرًا ضروريًّا وكافيا بينما هو لا يمكن أن يكون كافيا على الإطلاق، في سن الثامنة تقريبا تبدأ ملامح الأخطاء في الظهور، ويبدأ الآباء في الضيق لأن الأخطاء بدأت تتسرب خارج البيت، وبدأت الإشارات تأتي من خارج المنزل بأن الأمر في حاجة إلى معالجة كثير من الأمور، في العاشرة أو الحادية عشرة تظهر الأخطاء بوضوح أكبر، بصورة قد يفاجأ بها الأب وكأنه كان غائبا في سفر كل هذه السنين للعمل، وهو مطمئن حين عودته لأن يكافئ نفسه ببناء جميل يباهي به كل جيرانه، فإذا به في حاجة لأن يصدق نفسه أن هذا البناء بناءه، وفي حاجة أكثر لإجابات مقنعة لأن يرد على جيرانه عن تساؤلاتهم عن كيف أهمل البناء كل هذه السنين حتى وصل إلى هذه الدرجة ؟

الشعور بالخطر بدأ يتزايد وبدأت معه محاولات الإنقاذ، إلا أن نسبة النجاح يعرفها كل طبيب يتدخل في الحالات الصعبة متأخرًا، الأمر أصبح خارج السيطرة، وأصبح العلاج أصعب بكثير من مجرد إصدار الأوامر والنصائح، فلقد أصبحت شخصية الأبناء لا تقبل الأوامر وربما النصح، وبدأ يشعر الداعية بأنه قد بدأ يخسر المعركة التي حسمها من قبل، أو أنه قد خسرها بالفعل.

بمرور الوقت تتزايد الأخطاء حتى تصبح مزعجة لا يستطيع الداعية حتى أن يتذكرها، ويلجأ للهروب منها خارج المنزل إلى معركة الشارع المفضلة، ولكن هذه المرة لكي ينسى فشله المنزلي الذريع، ليس لأنه موقن أن النجاح حليفه.

يفكر الداعية ليدرك خطأه في ترك الميدان الذي ظن أنه سهل، ليكتشف أنه كان يحتاج إلى جهد واهتمام أكبر من أول لحظة، كما أنه كان يحتاج إلى دراسة وقراءة ومتابعة دقيقة لأدق التفاصيل.

يدرك الداعية أنه كان عليه أن يشارك الأم في التربية، وأن أبناؤه هم الجزء الأول والأولى من دعوته قبل الناس، وأن الأمر لم يكن مجرد أن ترسل الأبناء لحفظ القرآن وتدعو إلى الصلاة وتأمر بزي الحجاب.

يدرك الداعية أن الأبناء لم يكونوا آلات بمفاتيح إغلاق وفتح، من الممكن أن تضغط على زر معين ليتعودوا على أمر، وتضغط على آخر لتمنعه، إنما هي نفوس بشر.. آبار عميقة مظلمة.. كل يوم علينا أن نجتهد للغوص فيها إلى أعماق أكبر.

يدرك الداعية أنه كان من الخطأ أن يرمي الحمل كله على الأم، لينسحب هو إلى معاركه الخارجية، وأن الأمر كان بحاجة إلى تنظيم على مستوى أعلى من ذلك.

لم يكن يظن الداعية أن تربية أولاده معركة حتى يهرب منها، حتى وصل إلى المرحلة التي اضطر فيها إلى الهروب من المعركة لأنه عجز على أن يمتلك الأسلحة التي يواجه بها مجتمع يحارب الأخلاق ويهمش الدين بأسلحة مستوردة على أعلى درجة من التكنولوجيا.

نعم.. كانت الدعوة في حاجة لأن تدخل المنزل من أول يوم جاء فيه الأبناء للحياة،

وكانت تلك الدعوة تحتاج إلى فكر أعمق وخبرة أكبر في التعامل مع نفوس ستتحرر يومًا من قبضة آبائهم ويصبحوا قادرين على اتخاذ قراراتهم بأنفسهم، وانتهاج أسلوب الحياة الذي يقنعهم هم، لا ما يفرضه عليه آبائهم، وكانت تلك الدعوة تحتاج إلى متابعة خطوة بخطوة، كما يدرب السباح أبناؤه على السباحة، وهو يعلم أن ثمة وقت ما لن ينزل معهم البحر رغم مخاطره.

لم يدرب الكثير من الدعاة أبناءهم على السباحة في بحر الحياة، فوجدنا الكثير منهم لا يجيد السباحة ومنهم من يتعرض للغرق، ولم تسعف المدرب لياقته البدنية ليدرب أبناءه من جديد، كما لم يعد جسده يتحمل قسوة البرد.

3 – **الحل:**

لم يعد التكتم على المشكلة يجدي نفعًا، ولم يعد التجاهل ذو قدرة على الصمود أمام كم السلوكيات التي نفاجأ بها من أبناء الدعاة، حتى صرت في حالة رعب من أن أواجه نفس المصير مع أبنائي.

لم يعد كافيًا أن نصبح دعاة حتى يخرج أولادنا نماذج مشرفة لنا وللإسلام وللدعوة، فالمجتمع لم يعد بريئًا مسالمًا، بل أصبح شرسًا متوحشًا، ينهش في أجساد أبنائنا بتركيبة غريبة من القيم، كأسهم فتاكة تحتاج منا إلى يقظة مستمرة، وتدريب على مهارة الدفاع عنهم، حتى يشبوا ويصبحوا قادرين على الاستقلال والمواجهة.

نحن مطالبون إذن بالسعي بقوة والاجتهاد ما استطعنا، كي نربي أولادنا كما تمنينا لهم أن يكونوا، على قيم ديننا العظيم الذي ننادي بها في كل مكان، وتذرف أعيننا دمعًا عندما نبحث عنها في أبنائنا كثيرًا .. فلا نجدها.

الحل في أيدينا، والسعي مطلوب، والتوكل على الله لابد من التزود به.

أولًا: ينبغي للمؤسسة أن تعي القضية وخطورتها، ليس على أبناء الدعاة فقط، بل على الدعوة نفسها التي تفقد مصداقيتها أمام الناس وأمام أنفسنا، مهما قدمنا لهم ولنا من تبريرات فلسفية وشرعية وتاريخية مقنعة.. الواقع سيكون أشد إيلامًا على أنفسنا

من محاولاتنا في الإقناع.

ينبغي على المؤسسة أن تعي أن كثرة الأعمال الدعوية وتكدسها كادت تحذف ضلع (الأب) من المنزل، وهو ضلع لا غنى عنه على الإطلاق في العملية التربوية.

لابد أن توضع تربية الأبناء كأولوية تربوية، تسمح للأب بأن يتواجد في المنزل ليرى أبنائه ويقيم علاقة طبيعية معهم تسمح له بمتابعتهم والتودد إليهم ومد جسور الحب والتفاهم فيما بينهم، ينبغي ألا تكون الدعوة مسئولة عن حرمان الأبناء من آبائهم بسبب الدعوة إلى الله !

ثانيًا: تلقي دورات تدريبية في التربية على أيدي متخصصين أو ذوي الخبرة على الأقل، كل حسب مرحلة أبنائه السنية، والقراءة المستمرة في مشكلات التربية سواء في الكتب التي تمتلئ بها المكتبات الآن، أو في مواقع الإنترنت الخاصة بالتربية، وأولها (قسم التربية بموقع إسلام أون لاين)، والسؤال والبحث المستمرين عن الأسلوب العلمي والتربوي الأمثل في علاج ما يطرأ لهم من مشكلات في تربية الأولاد.

ثالثًا: الدعاء الدائم للأبناء بالهداية، والتوكل على الله، والثقة في أن الهداية من عنده، وإنما علينا الأخذ بالأسباب.

وربما نتخذ من الأساليب الكثير، ثم لا يحالفنا التوفيق بعدها في تربية أبنائنا، لكننا ساعتها نكون سعينا واجتهدنا، وأدينا واجبنا تجاههم، وأرضينا ضمائرنا، وأقمنا الحجة لأنفسنا أمام الله.

4- العمل المهني.. منبر جديد للدعوة:

تابعوا معي هذه القصة..

أثناء دعوة الرسول ﷺ في مكة، وجد الرسول ﷺ امرأة مسنة غير قادرة على حمل متاعها، فإذا بالرسول ﷺ يحمل متاعها عنها، حتى إذا وصلت إلى هدفها، رأت أن ترد الجميل لهذا الرجل الكريم، وكان رد الجميل عبارة عن تحذير صريح منها من عدم اتباع رجل يدعى محمدًا ظهر في مكة ويقول إنه نبي، فيبتسم الرسول ﷺ ليفاجئها بأنه هو محمد

الذي تنصحه بالبعد عنه، فما كان من المرأة التي كانت تدعو إلى عدم اتباع محمد .. إلا أن آمنت بمحمد ﷺ .

القصة بسيطة ومتواترة ومعروفة.. إلا أنها تحمل في طياتها قيمة دعوية عظيمة، وتعد قانونا دعويًا لا غنى للدعوة عنه في أي وقت، ومهما تكن الظروف، وهذه القاعدة هي:

أن الدعوة بالعمل.. أقوى تأثيرًا عشرات المرات من الدعوة بالكلام.

ففي الدعوة بالكلام.. يظل الناس يستمعون للداعية في خطبه وأحاديثه وحوارته، ويظلون يخزنون كل ما سمعوه في الذاكرة، في انتظار اللحظة التي يترقبون فيها ترجمة ما يجتهد في وعظه لهم ليل نهار إلى سلوك عملي حياتي، فإما يرتقي الداعية أمامهم إلى مرتبة القدوة الحسنة، ويزداد معها تأثير الداعية أضعافا مضاعفة، أو يسقط الداعية من نظر الجميع، ويتحول في النهاية إلى جهاز تسجيل يردد كلمات جميلة في شكلها وقوية في معناها، ولكنها لن تؤثر في أحد، لأن من يسمعها يعلم أن صاحبها غير قادر على تطبيقها، فبأي حق ينصح غيره بها.

لذلك.. فإن السلوك العملي الحياتي للداعية يعد وسيلة قوية في إيصال دعوته لغيره بصورة واقعية عملية لا تخطئها العين، فيقتنع الناس بالداعية وبما يقول، ويقتنعون بإمكانية تطبيق الإسلام في الحياة بصورة عملية دقيقة وواضحة، بعد أن وجدوا في داعيتهم القدرة على تخطي حاجز النظرية إلى التطبيق والعمل.

ويعد العمل المهني للداعية مجالًا خصبا لدعوة الناس عن طريق سلوكياته في ممارسة عمله، وعليه.. فأنا لا أقصد الاجتهاد المعتاد في العمل المهني من محاولة اقتطاع وقت من العمل، من أجل إقامة درس في المسجد أو وعظ الزملاء، وإن كان أمرا مطلوبا في حدود عدم إهمال العمل وتضييع وقت الزملاء، إلا أن نظرية الدعوة في العمل المهني تظل متوقفة في أذهان الكثيرين على الوعظ المباشر، حتى وإن أدى ذلك إلى الإهمال في العمل نفسه، فيهدم بنفسه أسس الدعوة إلى الله التي تدعو إلى البناء والنهضة، دون أن يدري.

وربما بدأت هذه الفكرة الخاطئة من أيام الدراسة الجامعية، حيث ظهرت آراء غريبة

تعتبر أن ترك المحاضرات تضحية في سبيل الدعوة، وأن الدعوة إلى الله أهم من المذاكرة وتحصيل العلم، وأن الرسوب في عام من أجل الدعوة لهو أمر في سبيل الله.

هذه الطريقة في التفكير حطمت أشخاصًا كانوا مؤهلين للتفوق في دعوتهم ودراستهم إذا ما استعانوا بشيء من الحنكة في تنظيم الأمور، وألجأتهم الظروف بمرور الوقت إلى أن يختاروا بين الدعوة والدراسة أحيانا، ناهيك عن الألم النفسي المصاحب لهذا الاختيار الصعب.

وانسحب هذا التفكير عند البعض في العمل في الشركة أو المؤسسة أو المدرسة، وأصبح العمل المهني منفصلا عن الدعوة، ليصبح العمل المهني مملا ثقيلا، وأصبح النشاط الدعوي في العمل المهني مرتبط بدعوة إلى صلاة أو مقرأة أو توزيع مطويات وكتب وأشرطة كاسيت.

إن العمل المهني قادر على أن يصبح منبرًا قويًّا للدعوة بما يحويه من تفاصيل كثيرة ومتشعبة تصب بصورة مباشرة في صالح القيم التي ينادي بها الإسلام، ويريد الناس أن يرونها بصورة عملية واضحة أمامهم.

إن العمل المهني وسيلة قوية لأن يصل الداعية برسالته إلى الناس طريق الالتزام بالمواعيد وإتقان العمل ومساعدة زملائه ونصحهم وزيادة خبرته لتطوير العمل والقدرة على حل ما يطرأ على العمل من مشكلات.

إن العمل المهني وسيلة قوية للداعية لأن يوصل قيم نصرة المظلوم وإشاعة جو الألفة بين زملائه والسؤال عن أحوالهم وإقامة روابط إنسانية معهم دون مصلحة، وإعلاء القيم الإنسانية على قيم المادة، ومعاملة الجمهور معاملة حسنة في البيع والشراء وخدمة الناس بقدر الاستطاعة دون انتظار مقابل.

وربما يكون الداعية مديرًا لمشرووع تجاري أو مسئولا في مؤسسة، فيهديه عمله المهني قيمًا أخرى يتشوق الناس أن يروها بلهفة، مثل: قيمة العدل، ومراعاة ظروف الموظفين واحترامهم وعدم استعبادهم وإعطائهم حقوقهم المادية وأخذ آرائهم في العمل واحترامها ومراعاة ظروفهم المعيشية والوقوف بجانبهم عندما تهاجمهم الحياة بنوازلها.

يضاف إلى ذلك القدرة على حل مشاكل العمل وإنجاح المشروع وإبراز قيم التحدي وعدم اليأس والابتكار.

إن العمل المهني لا يعد بأي حال من الأحوال بعيدًا عن العمل الدعوي، بل هو في صميم العمل الدعوي؛ لأنه يعد الترجمة العملية لكثير من قيم الإسلام التي ينادي بها الداعية، وهي أحد الاختبارات القوية للداعية نفسه أمام نفسه وأمام الناس على مدى قدرته على تطبيق ما ينادي به، ليصبح إذا نجح في ذلك متشبها بخير البشر أجمعين.. محمد ﷺ، حينما وصفته السيدة عائشة ل بأنه كان قرآنًا يمشي على الأرض.

عندها.. يكون الداعية قد نجح أبلغ النجاح في دعوته، عندما يتحول إلى عدل يمشي على الأرض، ورحمة تمشي على الأرض، وانضباط في المواعيد يمشي على الأرض، ووفاء بالوعد يمشي على الأرض.

إلى قيم الإسلام كلها تمشي على الأرض.

ساعتها..عندما يتحدث الداعية في حلقة في مسجد أو في خطبة جمعة، أو يعظ الناس في حديث عابر، ستصغي الآذان، وسينفذ كلامه إلى القلوب دون استئذان، وسيجد من يتخذه قدوة لتطبيق ما يقول في حياته العملية.

وقتها.. سينجح الداعية في تحويل الكلام إلى فعل حي، يراه الناس أمامهم دون ريب.

تعالو نجرب الدعوة من فوق منبر جديد.. اسمه..

العمل المهني.

5- محاور للدعوة في رمضان:

ربما يتسع المجال في رمضان للحديث عن الإسلام كله، بكل فروعه، فهو شهر عبادة وشهر جهاد وشهر عمل وشهر خير وشهر تربية، ورغم ذلك.. يظلم الكثير من الدعاة الشهر الكريم في الحديث عن الروحانيات فقط، والتي هي بالتأكيد محور أساسي في علاقة

المسلم بربه، إلا أن زيادة مساحة الحديث عن الروحانيات على حساب مساحات أخرى مهمة، تظلم الشهر نفسه وتقلص الفائدة منه، وتظلم المسلمين كذلك، وتضعهم دائما في إطار مغلف لا يستطيعون منه الانطلاق للحياة لتغييرها، فيرى الناس وجه الأرض يتغير في رمضان، وكأنها أرض غير الأرض، وحياة غير الحياة.

هذا ما نريده من رمضان، ولكي يحدث ذلك، فإني أتمنى أن يتم التركيز في رمضان على محاور بعينها، توضع في خطة متوازنة طيلة الشهر الكريم، وهذه المحاور هي:

أ- شمولية العبادة:

من الظلم أن تختزل العبادة في إقامة الشعائر والسنن والنوافل والعبادات الروحية، هذا ظلم للدين وظلم للناس.

متى يعرف الناس أن العبادة تشمل مظاهر الحياة جميعًا ؟ من أداء الواجب الأسري من حسن التعامل مع الزوجة وتربية الأولاد وإتقان العمل وحسن التعامل مع الناس ومساعدتهم، طالما صاحب ذلك نية صالحة تبغى وجه الله، ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ ﴾ [الأنعام].

ألم يحن الوقت بعد لكي يفهم الناس أن العبد قريب من الله طالما كان قريبًا من الناس، يخالطهم ويطبق الإسلام فيهم ومعهم ربهم، ويتحمل في سبيل ذلك ما يتحمل من الأذى.

ألم يحن الوقت بعد لكي يفهم الناس أن الله يريد من الناس أن يتعبدوا إليه بتعاملاتهم اليومية في الأسرة والعمل ووسائل المواصلات والشارع، ولو راجعت آيات الله تعالى، وأحاديث الرسول ﷺ وقارنت بين ثواب التواصل مع الناس، ونفعهم، وإسعادهم، وبين ثواب التقرب إلى الله منفردًا، لوجدت أن ثواب الأول يكون أضعافًا ثواب الثاني.

ألم يحن الوقت بعد لكي يفهم الناس أن العبادة الروحية جعلت لتدفعهم إلى العبادة العملية التي تيسر حياة الناس مع الناس، وتجعلهم يتذوقون حلاوة الإيمان في كل لحظة، لا أن نجد في كل لحظة هذا الفصام العجيب في شخصية المسلم الذي يبكي في صلاة

القيام ثم يخرج يؤذي الناس ويهمل أسرته وأولاده وعمله.

وليس معنى هذا على الإطلاق أن نهمل في العبادات الروحية أو لا ندعو إلى الالتزام بها، ولكن المقصود أن نفهم مقصدها وهدفها، حتى تستقيم الحياة كما أراد الله، وكي نحيا حياة سعيدة، كما نريد لأنفسنا، ويريد الله لنا.

ب- تدبر القرآن الكريم:

إلى متى يتم التعامل مع القرآن في شهر القرآن بسطحية تجعل قمة الاهتمام بالقرآن تعني قراءته أو ختمه مرة أو أكثر في الشهر دون الالتفات إلى معانيه وفهمها وتدبرها، وتنفيذ ما جاء فيها في حياتنا العملية، لماذا ننظر للقرآن دائما على أنه كتاب يضخ حسنات من حروفه وكلماته، وهو في الحقيقة دستور حياتنا وأكسير السعادة بالنسبة لها، أتمنى أن تتم الدعوة بجانب قراءة القرآن إلى فهم القرآن، حتى ولو فهم ثلاث آيات يوميًّا، ثم محاولة تنفيذ آية واحدة تم فهمها كل أسبوع، أتمنى أن تقام بجانب مسابقات حفظ القرآن، مسابقات لفهم القرآن وكيفية تنفيذ ما تم فهمه في الحياة العملية اليومية، أتمنى أن يشعر الناس أن القرآن كتاب محرك لهم ومحرك للناس ومحرك للحياة، لا عبارة عن حروف ساكنة بين دفتين.

ج- تربية النفس وتصحيح الأخطاء:

ليس من البشر من ليس به أخطاء، والكثير منا لديه رغبة صادقة في معالجة عيوبه، وكثيرا ما تقف النفس عائقًا أمام تغيير العيوب الشخصية، وفي شهر رمضان تسمو الروح وتتعلق بربها وتستمد من روحانيات الشهر الكريم طاقة هائلة تمكنها من تغيير عيوبها طاعة لربها ورغبة في مرضاته، وليس أدل على ذلك من مدمني التدخين الذين يفشلون طيلة العام في الامتناع عنه ثلاث ساعات فقط من النهار، ثم نجدهم فجأة يمتنعون عن التدخين نهائيًّا في يوم واحد هو أول أيام شهر رمضان، لماذا لا نستغل هذه الطاقة في وضع برنامج (لمدة سنة) وليس (لمدة شهر) لتصحيح عيب أو عيبين فينا، ثم نتابع تصحيح هذا الخطأ أسبوعيًّا (لمدة عام)، (وأكرر ليس شهر رمضان فقط)، فيكون قد استفاد كل مسلم في تصحيح خطأ شخصي أو اثنين، مستغلا طاقة نفسية هائلة لا تتكرر إلا في شهر واحد

كل عام، شهر رمضان.

د- حل المشكلات الأسرية:

الأسرة هي جهاز المناعة بالنسبة للمجتمع، فهي بما تحويه من روابط بين الزوج وزوجته وبين الآباء والأبناء، تمثل خط دفاع حصين ضد كل محاولات اختراق المجتمع من سلوكيات غريبة وأخلاقيات هابطة تعادي قيم الإسلام والفطرة السليمة، وللأسف الشديد.. فقد أصيب جهاز المناعة هذا منذ زمن، جعل الأسرة العربية والمسلمة تعاني أشد العناء من خلافات حادة ومشاكل غريبة لم نكن نسمع عنها بين الزوجين وبين الآباء وأبنائهم، وبات من الضرورة أن يلتفت الدعاة إلى الحديث عن لم شمل الأسرة في رمضان، وإعادة الروابط القوية بين الزوجين، وزيادة مساحات التفاهم بين الآباء وأبنائهم، وأن يتم ذلك بأسلوب علمي يستند إلى مفاهيم تربوية، ومنطلقًا من مشاكل واقعية حياتية يومية، تعاني منها الأسرة بالفعل، وأن يتم هذا ضمن برنامج متدرج، يعتمد على نظرية أن «الزمن جزء من العلاج»، حتى لا تصدم الأسرة بالفشل من المحاولة الأولى أو الثانية.

أتصور أن المحاور الأربعة السابقة، لو تم التركيز عليها ببرنامج زمني متوازن طيلة الشهرالكريم، سيكون كفيلًا بإذن الله أن تحدث تغيرًا في حياة الناس، تغيرًا ينشده الجميع، ويرضاه الله لنا، وسيزيد ثواب الناس عند الله، أكثر مما كانوا يتصورون.

* * *